From features of Dialogue of Civilizations in comparative literature

Assistant Professor. Dr. Fadhel Abdali Abbas
College of Education for Girls / The University of Basrah

Abstract :

The most distinguished features of civilized dialogue among different peoples were expressed by authors, poets and litterateurs. They travelled the long distances without suffering in order to records for their countries what the foreign creative minds had produced. At the same time, these authors, poets and litterateurs in turn transfer their cultures and creativity to foreign people. This led to cross fertilization of ideas from different cultures since the creative minds affected and were being affected others at the same time. So, the ideas developed and grew up in the minds of peoples through these intellectual dialogues in varied humanities and that motivated the
civilized culture.

Nowadays, the comparative studies and the comparative literature have adopted these cross-border creative ideas-by studying, reviewing and testing to be the main core of comparative studies in general and the comparative literature in particular. The paper in hand concluded the following results:

1. Openness to the other can be considered as a necessity for the integration of modern civilization.
2.The attention for comparative literature considers feature of modern civilization .
3.The interest of the language and literature of other culture can be considered as way for the cultural integration.
4.The Forum of the authors in the comparative literature can be described as a model for progress and advancement.

من ملامح حوار الحضارات في الادب المقارن

أ٠م٠د. فاضل عبدعلي عباس(*)
كلية التربية للبنات/جامعة البصرة

المستخلص:

تجلت ارقى ملامح الحوار الحضاري بين الشعوب المختلفة على ايدي الادباء والشعراء والكتاب، فكانوا يقطعون المسافات–رغم بعدها– دون عناء ليسجلوا لشعوبهم ماانتجته العقول المبدعة في تلك البلدان وينقلون–بدورهم– ثقافاتهم وابداعاتهم اليها فتلاقحت الافكار واثرت وتأثرت العقول ،فنمت وترعرعت في اذهان الشعوب بتلك المحاورات الفكرية على المستويات الانسانية كافة، فكانت الحضارة المدنية٠

وقد تبنت – في العصر الحديث– الدراسات المقارنة والادب المقارن تلك الافكار المبدعة – العابرة للحدود– بالدراسة والتمحيص والتدقيق، بل وصارت من مهام اختصاصاتها٠

وبعد أن شارف البحث على الانتهاء توصلنا الى النتائج الآتية:

١. يعد الانفتاح على الآخر ضرورة من ضروريات الحياة البشرية للتكامل الحضاري٠
٢. يعد الاهتمام بالادب المقارن صورة من صور المدنية الحديثة٠
٣. يعد الاهتمام بلغة الآخر وأدبه صورة من صور التكامل الحضاري٠
٤. يعد ملتقى الادباء المقارنين انموذجاً للرقي والتقدم

* Email :- Fadhil.abaas@uobasrah.edu.iq

مقدمة:

بعيداً عن السياسة التي لم تر للحوار طريقاً لحل المشاكل الانسانية ،والمآسي والآلام التي تتعرض لها البشرية اليوم ، بعيداً عن المؤامرات والخيانات والقتل والتشريد والفقر والحرمان ٠٠٠ كنت ابحث في الواقع عن التأثر والتأثيربين الآداب الاسلامية وبعد سنوات من البحث والتنقيب ومطالعة دواوين الشعراء ولآليء النثر عند الكتاب المسلمين وخلال ما يقرب من عشرين سنة جمعت ما كتبت ودونت ما قرأت ،فكانت حصيلة تلك الجهود وثمرته ،البحث الموسوم (من ملامح حوار الحضارات في الادب المقارن) ٠ ولعل هذا العنوان يكون مفتاحاً للباحثين الآخرين الذين هم متخصصون باللغات الاخرى فضلاً عن اللغة الام العربية ،سواء اكانت من اللغات الشرقية ام من اللغات الغربية ٠ لهذا يكون هذا البحث في حدود اهتماماتي وفي مجال اختصاصي ،فاتحاً الباب على مصراعيه لاكمال ما تحاورت به الحضارات الاخرى مع حضارتنا العربية من خلال الادب المقارن والدراسات المقارنة على اختلاف لغاتها وتنوع مصادرها ٠

وجاء تعريف الحضارة في اللغة :الاقامة في الحضر قال القطامي:

ومن تكن الحضارة اعجبته فأي رجالِ بادية ترانا

والحضارة ضد البداوة ، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني او هي كل مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي في الحضر ٠

وقد تناولت الدراسات الادبية المقارنة هذه المظاهر في حوارات حضارية سامية ،أخذت بيد الانسانية نحو الرقي والتمدن والاخلاق الفاضلة والسمو والتكامل والعفة والطهارة والتسامح ونبذ القومية والعنصرية ،فكأن شعار مشتغليها الآية الكريمة (٠٠٠ انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات:١٣ فالادباء على اختلاف اجناسهم لا يعرفون الحدود والسدود بين الاقاليم السبعة في معظم كتاباتهم واشعارهم ، فنجدهم ينهلون من هذا الادب او ذاك مرة في الاقتباس واخرى في التضمين وثالثة في الاشارة

ورابعة في اللفظ وخامسة في المعنى ٠ وكان وراء كل ذلك –في نظري – التكامل من اجل الانسان والإنسانية ، فصار الادباء –حينئذ– دعاة لمعارف بلدانهم في الامم، ومعارف الامم في بلدانهم ،وعرفوا بشعراء الانسانية كالمتنبي وابي العلاء المعري والشريف الرضي من العرب ، وكسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي وعمر الخيام من الفرس ٠

ان ما نؤكد عليه في بحثنا هذا ، وما نقصده بالحوار بين حضارات الشعوب في كتب الكتاب ونظم الشعراء ،هو تقبل نتاج الآخر وجعله مادةً لجيله الذي ينتمي اليه وللاجيال القادمة من جنسه ،دون ان يجعل للقومية والعنصرية والطائفية من اعتبار، حتى اذا ما اثبتها الكاتب في كتاباته والناظم في اشعاره بعد محاورة الأفكار وانتقاء الاسمى وتداولتها الشعوب اصبحت بمثابة بطاقة تعريف المحاوِر للمحاوَر معه أو كما يسميه دارسو الادب المقارن بعملية التأثروالتأثير٠

والغريب في الامر، ان الكتب النقدية القديمة التي كانت تعيب على الكاتب او الشاعر الذي يستخدم لفظة او معنى او فكرة اجنبية في نثره او في نظمه ،باتت غير نافعة الآن لأنها تدعوالى عدم التعاطي مع الاخرين ولا تنسجم البتة مع التحولات الكبرى التي يشهدها العالم اليوم ٠

وعلى الرغم من أن الفترة السياسية المظلمة كانت لا تعرف سوى الانغلاق على ذاتها متمسكة بحدود قوميتها ولغتها متعجرفة بافكارها ، وتنتقد معارضيها، بل تعزلهم وتنكل بهم في احيان كثيرة٠ ر غم ذلك كله راح الكاتب والشاعر يتفاعل ويتحاور في نثره ونظمه مع كل الافكار الانسانية ،فيسجل هذه العبارة الاجنبية في ادبه ويثبت تلك القاعدة في منهجه ،بل ويعدها من شروط نجاحه٠

وكانت هذه المحاورة الانسانية تشمل جميع جوانب الحياة العلمية والثقافية والدينية والآثار، حيث يتم التفاعل الحواري بين الحضارات ويتم اقرارها والاخذ بها ٠ ولعل خير انموذج لحوار الحضارات في الادب المقارن وبحكم التخصص ،نأخذ المحاورات التي جرت ودونت واثبتت واقرت بين حضارة وادي الرافدين والحضارة الفارسية ،في أفكار الكتاب

والشعراء العرب والفرس ٠ فقد اشترط الكتاب الفرس على الكاتب المجيد البارع أن يكون ملماً الماماً واسعاً في الثقافة العربية ،ولا سيما في القرآن الكريم وفي الاحاديث النبوية وفي الحكم والامثال والشعر العربي٠

المبحث الاول

تطور الحوار النقدي عند العرب والفرس

مما لا يخفى على الباحثين والمختصين في الادبين العربي والفارسي والمشتغلين في الدراسات المقارنة ،ان الحضارة الاسلامية التي وصلتنا نشأت وترعرعت وتطورت وتكاملت عبر هاتين الحضارتين العريقتين العربية والفارسية٠

وما يهمنا –هنا– موضوع البحث تطور الحوار النقدي عند العرب والفرس، تاركين القضايا الاخرى التي انجبتها هاتان الحضارتان الى كل باحث منصف واختصاصه٠ والسؤال الذي يطرح نفسه للبحث هو، ماهي مقومات التكامل الادبي والنقدي عند العرب والفرس؟ وللاجابة على هذا السؤال لابد لنا ان نتحدث ولو بشكل مقتضب عن التطور الذي حصل في الذوق الادبي وقواعد النقد عند كليهما:

أولاً: تطور الشعر عند العرب والفرس :

مرت لفظة الشعر في ثلاث مراحل دلالية ،دلالة مادية حسية، ثم دلالة معنوية نفسية ،ثم أصبحت فناً قولياً موزوناً دخل بيئة النقد الادبي٠ ففي اللغة ،ترجع هذه اللفظة الى أصل مادي حسي وهو شعر الجسد وجمعه اشعار وشعور[١]. ثم تطورت دلالته من الظهور المادي الى الظهور المعنوي، يقول صاحب اللسان:(واشعر الامر، اشعر به، اعلمه اياه)[٢]. ويقول صاحب اساس البلاغة:(واشعرت امر فلان جعلته مشهوراً)[٣]. وكان الشعر عند العرب في الجاهلية علم من العلوم ، يقول ابن سلام في طبقاته انه(ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ،به يأخذون واليه يصيرون)[٤]. والعلم في اصل معناه سماع وشعور[٥]. وهوكان يتميز عن الكلام العادي ببعض الخصائص الفنية تنبع من مشاعر الشاعروأحاسيسه٠

فأصبح كلاماً انفعالياً منغماً ، يفيد علماً ومعرفة(والشعر منظوم القول ،غلب عليه لشرفه، بالوزن والقافية وان كان كل علم شعراً)[٦] . وظل هذا الشعر يُحفظ ويُتناقل في البيئة العربية في الجاهلية والاسلام حتى عصر التدوين ،الى أن وضع الخليل علم العروض فأصبح الكلام الموزون شعراً وغير الموزون سجعاً او أمثالاً ،وبهذا اصبحت سمة الوزن من سمات الشعر تميزه عن غيره من الفنون القولية، ودخلت هذه اللفظة –حينئذ– بيئة النقد الادبي٠ ويعد قدامة بن جعفر(٣٧٧هج)من اوائل النقاد الذين عرفوا الشعر بأنه (قول موزون مقفى، يدل على معنى)[٧]. وقد نقل هذا التعريف بنصه من أتى بعده أيضاً كأبن سنان الخفاجي(٤٦٦هج)[٨]. وابن رشيق القيرواني(٤٦٣هج)[٩]. ولعل التعريف الذي جاء به صاحب الوساطة هو أقرب الى قلب الحقيقة ،لأن الشعر هو عبارة عن محاكاة الواقع الانساني ،فيقول:(والشعر لا يحبب الى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة، وانما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقربه منها الرونق والحلاوة وقد يكون الشيء متقناً محكماً، ولا يكون حلواً مقبولاً ،ويكون جيداً وثيقاً، وان لم يكن لطيفاً رشيقاً)[١٠]. ويقول في موضع آخر(ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ،ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه ،فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها ،تكون مرتبته من الاحسان)[١١].وفي النهاية يتفق حازم القرطاجني (٦٨٤هج)مع ابن سينا وارسطو في تعريفهما للشعر، وبهذا تتداول الأفكار بين هؤلاء النقاد –رغم اختلاف اصولهم– ويقرها حازم القرطاجني أيضاً ،فيقول:(الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية الى ذلك والتئامه من مقدمات مخيلة صادقة كانت أو كاذبة ،لا يشترط فيها بما هي شعر غير التخييل)[١٢]. وهؤلاء النقاد يشمل تعريفهم للشعر بعامة، العربي وغير العربي من اشعار الامم كلها رغم خصوصية الشعر العربي وأساليب العرب في الشعر٠لهذا عدَّ النقاد العرب المتنبي وأباالعلاء المعري من الحكماء لامن الشعراء لأنهم خالفوا طريقة العرب في الصياغة والتعبير أو مااصطلح عليه النقاد بعمود الشعر٠

وقد لخصها المرزوقي بقوله:(انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والاصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه والتحام اجزاء النظم والتآمها على تخير لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار للمستعارله ،ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية، حتى لا منافرة بينهما فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر)[١٣] .

ان المعارك الادبية التي حدثت بين القدماء والمحدثين ،انما قامت حول هذا العمود في القرن الثالث وكان اسلوب ابي تمام الذي يمثل المذهب الجديد، واسلوب البحتري الذي يمثل المذهب القديم ،هو السبب الرئيس في اختلاف النقاد وخصوماتهم الأدبية[١٤]. .

ان الدراسات المقارنة أكدت ان الشاعر والناقد الايراني اتجه الى مبدأ التجديد والتحديث ففضلوا من شعراء العربية ، المتنبي وأباالعلاء المعري وأباتمام الطائي ، وتأثر اغلب الشعراء الايرانيين الكبار بهم ،كما عدّ النقاد الايرانيون قراءة دواوين هؤلاء الشعراء شرطاً من شروط جودة الشعر الفارسي ،ويعود السبب في ذلك ان المدنية الايرانية والحضارة الفارسية تميل الى الاغراق في الخيال والشعور المفرط في جمال الطبيعة الساحرة والاحتضان المدني للحكم والامثال والمواعظ. وقد ذكر صاحب المقالات الاربع (نظامى العروضي السمرقندي)ان الشعر عبارة عن(صناعة يتمكن الشاعر بواسطتها من أن يسوق المقدمات الخيالية والوهمية وأن يجعلها تتفق وتلتئم مع القياسات المنتجة العملية ،بحيث يجعل من المعنى الصغير معنى كبيراً، ومن الكبير معنى صغيراً ،بحيث يلبس الجميل صورة القبيح أو القبيح صورة الجميل، فاذا أثار قوى النخوة أو الشهوة في سامعيه استطاع أن يوحي اليهم بالسرور أو الانقباض وأن يحدث كثيراً من عظائم الامور في هذا العالم)[١٥] .

وهو بهذا التعريف قد انسجم تماماً مع ما ذهب اليه النقاد العرب الذين مرذكرهم.وكان هذا الانسجام في الرؤى والافكار بين المثقفين والادباء العرب والفرس ،الباعث الحقيقي لتشابه اسلوب الشعر في التجدد والحداثة وابتكار المعاني والاستغراق فيها، بل وتبادل المعاني والافكار بين الطرفين وتوظيفها باسلوب بديع ،فضلاً عن اتخاذ العروض والقافية العربية أساساً للنظم الفارسي مع الاخذ بنظر الاعتبار امتداد النبرة الصوتية والنغم الموسيقي الامر

الذي تتعدى وزن القصيدة الفارسية الى ثمان تفعيلات بدلاً من ست تفعيلات ،فضلاً عن ذلك استعار الفرس نظم القصيدة والقطعة من العرب وقد وضعوها على نسق المعلقات الجاهلية من حيث الصياغة والاسلوب [١٦].

أما الرباعي والمثنوي فقد ابتكرها الفرس [١٧]. ونظم على منوالها العرب. ان هذا الحوار في الرؤى والأفكار هي من ملامح حوار حضارتين عريقتين ستتوضح لنا في المبحث الثاني ان شاء الله.

ثانياً: النثر عند العرب والفرس

كما مرت لفظة الشعر بمراحل مادية حسية ومعنوية ، مرت لفظة النثر بهاتين المرحلتين ايضاً. فالنثر مشتقة من النثرة أي الخيشوم وما والاه أو الفرجة بين الشاربين حيال وترة الانف... ونثر انفه اخرج مافيه من الاذى ،ونثرت النخلة اخرجت ما في بطنها [١٨].

والنثار بمعنى النثر ايضاً ،وهو الفتات المتناثر من المائدة.يقول صاحب القاموس :

(نثر الشيء ينثره وينثره نثراً ونثاراً رماه متفرقاً....)[١٩]. فلفظة نثر في هذا الطور اللغوي تعني الشيء المبعثر المتفرق، ومن صفات الشيء المتفرق الامتداد والاتساع . وبهذا تأخذ دلالة هذه اللفظة معنى الكثرة، ثم اخذت هذه اللفظة دلالة معنوية يقول صاحب اساس البلاغة (ورجل نثر مهذار، ومذياع للاسرار)[٢٠]. والنثر على هذا النحو ،هوالكلام الكثير المتفرق تشبيهاً له بنثرالمائدة. وتدخل هذه اللفظة بيئة الثقافة الادبية بهذا المعنى، ثم تقصر على الكلام الادبي ،الذي يسمو على الكلام العادي، تعبيراً ومعنى ويستعملها النقاد والادباء بهذا المفهوم،على انها ذلك الكلام الفني غير المنظوم الذي يقابل الكلام المنظوم.يقول قدامة بن جعفر(واعلم ان سائر العبارة في كلام العرب اما ان يكون منظوماً واما ان يكون منثوراً، والمنظوم هوالشعر، والمنثور هوالكلام)[٢١].

وعلاوة على ذلك ،فقد لاحظ بعض النقاد من امثال عبدالقاهر الجرجاني (٤٧٧هج)ان الوزن ليس هو المميز الوحيد الذي يميز الشعر عن النثر. فللشعر خصائص ومميزات اخرى

تميزه عن النثر مثل الجزالة اللفظية والايجاز في التعبير وحسن التخييل وجمال التصوير واحكام الصنعة الفنية٠وتكثر هذه الصفات والمزايا في الشعر وتقل في النثر[٢٢] . ان هذه التعاريف هي عامة يأخذ بها عند الادباء والنقاد في العالم٠ولكن المهم الذي نريد التوصل اليه ،ان المحاورة الفكرية والنصائح الفنية التي سجلها هؤلاء النقاد للقاريء العربي والفارسي على حد سواء هي واحدة من أجل ان يكتسب هؤلاء القراء العلم والمعرفة والاحساس بجمال الطبيعة ،ولكي يكون القاريء أديباً عالي الهمة معروفاً مشهوراً، عليه ان يقرأ أشياء محددة تزخر بالفاظ ومعان مهمة٠ يقول ابن خلدون في مقدمته وهو ينصح القاريء ، فيقول: (عليه أن يحتذي في عبارته اساليب الشعراء الجاهليين من العرب، وكذلك اساليب ابي تمام الشاعر الذي جمع ديوان الحماسة وتوفي في منتصف القرن التاسع الميلادي((منتصف الثالث الهجري)) وكلثوم بن عمر العتابي الذي نشأ على عهد الرشيد وابن المعتز الذي تولى الخلافة يوماً واحداً انتهى بمقتله في سنة ٩٠٨م((٢٩٦هج)) وابي نؤاس شاعر الرشيد المعروف بالعبث والدعابة والشريف الرضي المتوفى سنة١٠١٥م((٤٠٦هج)) وعبدالله ابن المقفع المجوسي الاصل الذي قتل في سنة ٧٦٠م – ٣٩٩هج وسهل بن هارون المتوفى سنة ٨٦٠-٢٤٦هج وابن الزيات الوزير الذي قتل في سنة ٨٤٧م-٢٣٣هج وبديع الزمان الهمذاني مؤلف المقامات المتوفي سنة ١٠٠٨م-٣٩٩هج والصابي مؤرخ الدولة البويهية المتوفى سنة ١٠٥٦م-٤٤٨هج ٠ ثم يستمر ابن خلدون ، فيقول :ان الذي يحذو حذو هؤلاء ويحفظ مؤلفاتهم لابد بالغ باسلوبه اجمل المراتب ، وسيبرزبغير شك عمن يحتذى حذو كتاب القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين((السادس والسابع الهجريين))من امثال ابن سهل وابن النبيه والبيصاني وعمادالدين الكاتب الاصفهاني [٢٣]٠ واذا ما انتقلنا الى الناقد الايراني وهو ينصح القاريء ايضاً من اجل الوصول الى اعلى المراتب في الشعر والنثر.

نجد صاحب كتاب المقالات الاربع يذكر أن:(كاتب الديوان لايبلغ شأواً عالياً في صناعته حتى يأخذ بطرف من كل علم، وحتى يتلقى النكات الرقيقة من افواه الاساتذة المبرزين وحتى يستمع الى لطائف الحكماء الماهرين ، وحتى يقتبس طرائف الادباء القادرين).

ومن اجل ذلك وجب على كل من يريد التبريز في الكتابة أن يقرأ في العربية كلام رب العزة واخبار المصطفى وآثار الصحابة وامثال العرب وكتابات ((الصاحب ابن عباد)) و((الصابي)) و((قدامة بن جعفر)) و((بديع الزمان الهمداني)) و((الحريري)) وجماعة آخرين من الكتاب، وكذلك اشعار((المتنبي)) و((الابيوردي)) و((الغزي))٠٠٠٠٠

وعليه في الفارسية أن يقرأ ((قابوس نامه)) الذي الفه ((كيكاوس)) حاكم طبرستان من آلزيار في سنة ١٠٨٢م-٤٧٥هج. و((الشاهنامه)) مننظم الفردوس يوأشعار ((الرودكي)) و((العنصري)) [٢٤]٠

والخلاصة ،ان هؤلاء النقاد من العرب والفرس قد اخذ احدهم بفكرة الآخر ونصح الآخرين بقراءتها من اجل الوصول الى أعلى المراتب الادبية في الشعر والنثر، وسجلها لشعبه الذي يعيش فيه ، ودونها للاجيال القادمة دون النظر الى العنصر أو المذهب أو الطائفة ،بل اننا رأينا فيما تقدم،ان صاحب كتاب المقالات الاربع يقدم النصيحة للقاريء الايراني بأن يطالع المصادر العربية أولاً ثم يطالع المصادر الفارسية من اجل الوصول الى أعلى المراتب الادبية ،وهذه اشارة صريحة واضحة ،الى ان الادباء والنقاد لا يعرفون الحدود والقيود،و لايهمهم شيء سوى نقل الحقيقة أنى كان مصدرها من أجل الانسان والانسانية ٠

المبحث الثاني

من ملامح الحوار الحضاري في الادب المقارن

استطاع الشعراء والادباء الفرس أن يوظفوا ما أنهلوه من الطرف العربي من حكم وامثال وجمال ووصف، ومن بلاغة وبيان وبديع ،فضلاً عن الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، أن يوظفوه في اشعارهم وكتاباتهم ،واصبحوا بمثابة بطاقة تعريف لشعوبهم من خلال مانقلوه من الحضارة العربية سواء في نثرهم ام في نظمهم ،كما قام الطرف العربي بنقل بعض ملامح الحضارة الفارسية وأثبتها في اشعاره وكتاباته ايضاً بل اصبحت بعض تلك العادات والتقاليد -بمرور الزمن- موروثاً عربياً من أصل فارسي كما هوالحال في اعياد النوروز

واسماء الانغام وادوات الموسيقى والفنون، وبعضها اصبح موروثاً فارسياً من اصل عربي، كما هو الحال في استعمال الالفاظ العربية في لغتهم واستخدام الوزن والعروض والقافية العربية ٠

والامر المهم الذي يجب ذكره هو ان الأثر العربي في الفارسية كان أثراً كبيراً لا يضاهيه اثر بالنسبة الى اللغات الأخرى حتى قال المستشرق (نولدكه) ((ان الحركة الهلينية لم تمس من الحياة الفارسية الا السطح والقشور، بينما استطاع الدين العربي والحياة العربية أن ينفذا الى قرارة الحياة الايرانية ولبابها ٠٠٠)) [٢٥].وهذه اشارة واضحة الى أن تأثير العرب قد تعدى الى نواح مختلفة ، بدأ على أشده في الأمور الدينية والفقهية وامتد ايضاً الى النحو والبلاغة والشعر وكانت كل العلوم التي اشتغل بها المسلمون تقريبا علوماً مشتركةً ٠ يقول ادورد براون في كتابه الشهير تاريخ الادب في ايران((أنّ هذه العلوم هي في الغالب نتاج لاصول مشتركة اخذ يستعيرها العرب من امم سبقتهم في الحضارة كالفرس واليونان ،خاصة في الفترة المبكرة من العصر العباسي أي في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي(الثاني الهجري) ويضيف براون:ان العرب قسموا هذه العلوم على قسمين كما في كتاب مفاتيح العلوم ،القسم الاول عبارة عن العلوم الاصيلة في العربية وتشمل الفقه والتفسير والنحو والكتابة والشعر والعروض والتاريخ ٠ أما القسم الثاني فهو عبارة عن العلوم الاجنبية وتشمل الفلسفة والمنطق والطب والحساب والرياضة والنجوم والموسيقى والميكانيكا والكيمياء وجميع هذه العلوم تضمنتها ((الحضارة العربية الفارسية)) اثناء الخلافة العباسية في بغداد٠

وهذه العلوم التي نشأت عن مصادر مختلفة أصبحت ((وحدة مركبة)) معروفة لدى المسلمين، بحيث ماتزال تؤثر فيهم تأثيراً عميقاً يكاد يبلغ في مداه تأثير الدين الاسلامي في أنفسهم ،مما ساعد على توحيد العواطف توحيداً شديد الوضوح بين المسلمين كافة فيأرجاء الارض قاطبة [٢٦]٠

ولكن براون يقرر ما ذهبنا اليه من تأثير العربية الواضح في اللغات الاخرى فيقول:(ومن المحقق قطعاً انه كلما ازدادت معرفتنا بالعربية ، كلما ازداد مقدار تذوقنا لما نعرض له من آداب اللغات الاسلامية الاخرى)[٢٧]. بل ذهب بعض الباحثين في الدراسات المقارنة الى

ابعد من ذلك وألزم الآخرين بدراسة الادباء والمفكرين العرب ضمن تاريخ الفكر والثقافات الاجنبية ،لا أن ندرسه ضمن الادباء الصرف ،فيقول:(ولابد لنا اذا مادرسنا الجاحظ مثلاً أو ابن المقفع أن ندرسه مع تاريخ الفكر والثقافات الاجنبية لا أن ندرسه ضمن الادباء الصرف بما تمتعا بثقافة واسعة وقربا فلسفة عصريهما وعلومهما الى كل عقل ومزجا حكمة اليونان والفرس والهنود بأشعار الجاهليين وأقوال الفلاسفة بأقوال الادباء وعبروا بالعربية عن كل علم وكل فن) [٢٨] .وقد تميزت بعض كتب النقد والبلاغة بالطابع العربي في اسلوبه ونقده الى جانب تأثره بالثقافات الاجنبية الاخرى ،ويجد الباحث مجالاً خصباً للدراسات المقارنة فيها ، ولاسيما فيما ترد من مقاييس يونانية وتشبيهات فارسية [٢٩] . ولم تعد الكتب النقدية ترد فيها هذه المقاييس ،بل تعدت الى دواوين الشعراء العرب والفرس على حد سواء. وقد قام الشعراء العرب في عصر ما قبل الاسلام بنقل ما تزخر به الحضارة الفارسية من فنون وجمال طبيعة الى الصحراء العربية القاحلة ،نذكر على سبيل المثال الشاعر الاعشى الذي يكثر من الالفاظ الفارسية في شعره بأشياء تفتقر اليها بيئته الصحراوية، ويعد هذا- يومذاك - انجازاً كبيراً ورافداً من روافد المعرفة والابداع ،ولاسيما في قصيدته التي يذكر فيها انواع الزهور وادوات الموسيقى والفنون ، فيقول:

ببابل لم تعصر فجاءت سلافة تخالط قنديداً ومسكاً مخيما
يطوف بها ساق علينا متوم خفيف دفيف ما يزال مقدما
بكأس وابريق كان شرابه اذا صب في المصحاة خالط بقما
لنا جلسان عندها وبنفسج وسيسنبر والمرزجوش منمنما
وآس وخيري ومرو وسوسن اذا كان هنز من ورحت خشما
وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا في كلدجن تغيما
ومستق سينين وون وبربط يجاوبه صنج اذا ما ترنما [٣٠].

وقد يجد القاريء كيف نقل الشاعر العربي واستساغ هذه الالفاظ وتأثربها وهو صاحب البيئة الصحراوية بالكثير من مظاهر البيئة الفارسية وترفها، ومنها استخدامه كلمات

فارسية معربة مثل قنديد بمعنى :سكر وجلسان واصلها(كلشن) ومعناها :مكان الوردو بنفسج واصلها(بنفشه) ومرزجوش معربة من (مرزن كوش) يضاف الى ذلك أسماء الاشجار والازهار ذات المنظر البهي والرائحة الطيبة مثل: آس ، خيري، مرو، سوسن ،شاهسفرم ، ياسمين، نرجس ٠ كما يذكراسماء آلات موسيقية فارسية، استخدمها العرب في ما بعد مثل :مستق ،ون (ونك)،بربط(بربت) ،صنج(جنك)٠ كما ادخل امرؤالقيس في هذا البيت كلمة معربة هي:هربذ عن اصلها الفارسي (هربد) بمعنى حارس: اذا رعته من جانبيه كليهما مشى الهربذي في ذمه ثم فرفرا (٣١).

واستخدم عمربن كلثوم كلمة(تاج) عن اصلها الفارسي(تاز) ومعناها :الامرد او السافل:

وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي المحجرينــا (٣٢).

واذا ما جاء فجر الاسلام واعتنقت ايران الدين الجديد ،ازداد التحاور الفكري وبدأت الثقافة الاسلامية تتجه نحو التكامل ،فقد شاركت العقلية الايرانية في نتاج العديد من كتب التراث العربي وفي العلوم المختلفة، ففي الصرف والنحو واللغة والفقه، نجد سيبويه والكسائي وابن قتيبة وعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري والسكاكي وغيرهم٠ وفي الادب نجد بشاراً وأبانؤاس وبديع الزمان الهمداني وعبدالحميد الكاتب وابن العميد وابن الرومي، وفي التفسير نجد الطبري والفخر الرازي ،وفي الحديث البخاري ومسلماً والترمذي وأباداود والسجستاني والنسائي ،وفي التأريخ نجد الطبري في تاريخ الرسل والملوك وأبا الفدا في المختصر في أخبار البشر وأبابكر محمد بن جعفر النرشخي في تأريخ بخارا وأبا عبدالله حمزة بن الحسين الاصفهاني في تأريخ سني ملوك الارض والانبياء وأبا منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي النيسابوري في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٠وفي الفلسفة ابن سينا والفخر الرازي ،وفي الحكمة والتصوف نجد ابن سينا ومسكويه والغزالي وعمرالخيام٠

ويجد الباحث في تراث الفرس ،ان اغلب الادباء والشعراء الايرانيين قد ألفوا باللغتين العربية والفارسية ،وهم مااصطلح عليهم اسم(اصحاب اللسانين)، ومنهم الفيلسوف ابن سينا (٤٢٨هج)،فمن مؤلفاته بالعربية كتاب الشفاء والقانون والاشارات،ومن كتبه بالفارسية(دانشنامه

علائي) واثنتان وعشرون قطعة من الشعرالفارسي٠ ومنهم ايضاًالغزالي(٥٠٥هج)، فمن مؤلفاته بالعربية احياء علوم الدين ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال والوسيط في الفقه والبسيط في فروع المذهب الشافعي، أما مؤلفاته بالفارسية(مجموعة رسائل فارسية)و(كيمياى سعادت)و(نصيحت الملوك)ومنهم شمس الدين محمدبن قيس الرازي، فمن مؤلفاته بالعربية كتاب المعرب في معاييراشعار العرب ،اما في الفارسية فكتابه المشهور المعجم في معايير اشعار العجم٠ ومنهم ايضاً ابو الريحان البيروني صاحب كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم ،فقد كتبه بالعربية مرة وبالفارسية مرة اخرى ومثله ايضاً رشيد الدين فضل الله في كتاب جامع التواريخ٠اما من الشعراء الايرانيين الذين نظموا بالعربية والفارسية، فكثيرون اشهرهم الشاعر المعروف سعدي الشيرازي(٦٩٤هج)، اذ نجد في كتابه(كلستان) قصائد غير قليلة بالعربية وهي منظمه، ومنها قصيدته الشهيرة في رثاء بغداد اثر سقوطها على يد المغول عام ٦٥٦ هج ومطلعها:

حبست بجفني المدامع لاتجري فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبري

وفي البلاغة نجد رشيد الدين الوطواط، صاحب كتاب (حدائق السحر في دقائق الشعر)وهو اول كتاب بلاغة يتناول البلاغتين العربية والفارسية في الشعر والنثر٠ والى جانب هؤلاء الشعراء برز شعراء الملمعات ، وهي ملمح آخر من ملامح التحاور الفكري الجميل التي البست القصائد بالجواهر والحلي، وتعانقت من خلالها الأفكار والمعاني والصور في بيت واحد او في قصيدة واحدة، واشهر شعراء الملمعات جلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي ومن اغزرهم شاعرالغزل العرفاني حافظ الشيرازي، يقول في احدى غزلياته:

ألايا أيها الساقي أدركأساًونا ولها كه عشق آسان نموداول ولي افتاد مشكلها

ولما كانت بغداد مدينة السلام ، دار الخلافة الاسلامية وأم الدنيا وسيدة البلاد (٣٣). ومأوى العلماء في الشرق والغرب (٣٤). ، ليس من الغرابة في شيء أن يكون العراق ومدنه

رافداً من روافد الابداع في اشعار مجموعة كبيرة من الشعراء الفرس، يذكرونه ويتغنون به٠فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر سعدي الشيرازي العراق ومدنه وأنهاره في مجموعته الشعرية (كليات شيخ سعدي) في ثمانية وستين موضعاً، وكان نصيب بغداد خمس عشرة مرة [٣٥]،ودجلة ثماني عشرة [٣٦]، والفرات ثماني مرات [٣٧]، والعراق ثماني مرات [٣٨]، والبصرة ثلاث مرات[٣٩]،والحلة وبابل ثماني مرات [٤٠]،والكوفة ثلاث مرات [٤١]، وواسط مرتين [٤٢]، وكربلاء [٤٣]، والنظامية [٤٤] ،والمستنصرية [٤٥]، مرة واحدة٠

اما ما أخذه سعدي من القصص العربية ، فبلغت خمس عشرة قصة عربية وظفها في ثمانية وثمانين تعبيراً انشائياً، بلغت عدتها في الشعر اربعة وثمانين بيتاً، وفي النثر اربع قصص٠ وضمن بعض القصص العربية في أدبه نثراً ونظمها مرتين فقط والملاحظ أنّ الشاعر سعدي الشيرازي ، كان ينتقي في كل تضميناته القصص العربية ذات الدلالة الدينية والاخلاقية والاجتماعية التي كانت السبب المباشر في رفع ادبه وصحة مقارنته بالشعراء الكبار٠ ولعل تأثر سعدي بالمتنبي كانت واحدة من هذه الاسباب، وقد يعترف ادباء الفرس انفسهم بهذه الحقيقة ، فاذا ما أرادوا مدح شاعر فارسي كبير شبهوه بالمتنبي ولهذا بلغت مآخذ سعدي من معاني شعر المتنبي مائة وعشرة ابيات، شملت جميع الاغراض الشعرية التي طرقها المتنبي ،فبلغت مائتين وتسعة وسبعين بيتاً ٠ اما ما اخذه سعدي من الشعراء العرب الاخرين من ستة وخمسين شاعراً عربياً، بلغ مائة وسبعة وستين بيت شعر ومائتين وسبعة وتسعين تعبيراً انشائياً٠ بلغ عدته في الشعر مائتين وثماني وسبعين مرة،وتسع عشرة مرة في النثر٠

الهوامش :

١- لسان العرب لابن منظور، حرف الراء فصل الشين ط بيروت.

٢- المصدر نفسه.

٣- اساس البلاغة، مادة (شعر).

٤- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ،تحقيق شاكر ط١ ،ص ٢٢.

٥- ينظر القاموس المحيط ، باب الميم فصل العين –علم–.
٦- لسان العرب حرف الراء فصل الشين.
٧- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص١٣.
٨- سر الفصاحة ص٢٧.
٩- العمدة في محاسن الشعر ج١ ص ١١٩-١٢٠.
١٠- الوساطة بين المتنبي وخصومه ط٣ ،احياء الكتب العربية ص١٥.
١١- المصدر نفسه، ص١٠٠.
١٢- منهاج البلغاء، تحقيق ابن الخواجة ، ص٨٩.
١٣- مقدمة كتاب الحماسة شرح المرزوقي، ص٩ .
١٤- الموازنة بين الطائيين للآمدي ، دار المعارف ،ص٤٠٠.
١٥- جهار مقالة ، نظامي العروضي السمرقندي ،ص٣.
١٦- تاريخ الادب في ايران ،ادواردبراون، ترجمة ابراهيم امين الشواربي،ج٢،المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠٥م ص٢٩ .
١٧- قيل ان الرباعي (الدوبيت) هو اول ضروب النظم التي نشأت في ايران٠ينظرتذكرة الشعراء ، ص٣٠ ،وكذلك المعجم في معايير اشعار العجم ، ص٨٨.
١٨- لسان العرب حرف الراء، فصل النون والقاموس المحيط باب الراء فصل النون.
١٩- القاموس المحيط باب الراء فصل النون.
٢٠- ساس البلاغة مادة نثر.
٢١- نقد النثر لقدامة بن جعفر ،ص٧٢.
٢٢- دلائل الاعجاز ،ص١٨.
٢٣- المقدمة، ص٧ .
٢٤- جهارمقاله،ص٥..
٢٥- ينظر تاريخ الادب في ايران،ادوردبراون،ج٢ ،المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠٥ ،ص١٣ .
٢٦- تاريخ الادب في ايران، براون ،ج٢، ص١٦.
٢٧-المصدر نفسه ،ص١٧.

٢٨-الادب المقارن والادب العام ، ريمون طحان ، دار الكتاب اللبناني ص٨٢.

٢٩- ينظر اسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، جمع وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة القاهرة ط٢ ، ص١٠. وكذلك ينظر الادب المقارن في ضوء الف ليلة وليلة، صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٢٠.

٣٠- ديوان الاعشى، دار صادر، دار بيروت ، ١٩٦٠ ص١٨٦ .

٣١- ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ دار المعارف – مصر- هامش ص٦٧.

٣٢- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة العاني ط١، ١٩٦٢ ص٢٩٥.

٣٣- معجم البلدان، ياقوت الحموي،ج١ ،دار صادر- بيروت ١٣٧٤ هج – ١٩٥٥م،ص٤٥٦.

٣٤- ارشاد الاريب ، ج، ص٣٩٩.

٣٥- كليلت شيخ سعدي/ص٨٨ – ١٢٨ – ١٣٠ – ١٣٨ – ١٦٢ – ١٧٢ – ٢١٢ – ٢٤٤- ٣٢١- ٤١٠- ٤١٢- ٤٧٤-٤٨٠-٧٣٠- ٧٤٥.

٣٦- المصدر نفسه ،ص ١١١- ١٦٧- ٢٠٦- ٢١٦- ٢٣٣- ٢٩١- ٣٠٢- ٣٧٠-٣٧٨- ٥٣٩-٧٤٠-٤٣٦-٤٦٤-٤٨٦-٤٨٩-٦٠٤-٤١٠-٤١١ .

٣٧- المصدر نفسه ،ص ٨٤- ٥٣٦-٥٩٥- ٧٩٢-٦٢٣-٤٩٧-٤٣٠-٤٥٨.

٣٨- المصدر نفسه ،ص ٣٦ -٣٣٦- ٤٩٩-٤٦٠-٤٦٣-٤٦٨-٤١٨.

٣٩-المصدر نفسه ، ص ٥٣-١٠٥ -١٢٨.

٤٠- المصدر نفسه ص ٥٢٦- ٥٤٢ -٧٣٠-٦٠١-٦٥٤-٥١٥-٤١٣-٤٢٤.

٤١-المصدر نفسه ، ص٧٠-١٠٦-٥٢٦.

٤٢- المصدر نفسه ، ص١٠٠-٤١٠.

٤٣- المصدر نفسه، ص٤٣٠.

٤٤- المصدر نفسه، ٣٦٠.

٤٥- المصدر نفسه، ص٤١٠.

المصادر والمراجع:-

اولاً: القرآن الكريم

ثانياً : المصادر العربية:

١- الادب المقارن والادب العام ، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، دت٠

٢- الادب المقارن في ضوء الف ليلة وليلة، صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية،بغداد١٩٨٦م

٣- اساس البلاغة، الزمخشري، ط : الشعب٠

٤- اسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، جمع وتحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة القاهرة ط٢

٥- ارشاد الاريب الى معرفة الاديب، ياقوت الحموي،ج٢،اعتنى بنسخه وتصحيحه د٠س مرجليوث ط٢، مطبعة هندية بالموسكي، مصر ١٩٣٠ ٠

٦- تاريخ الادب في ايران ، ادورد براون،ترجمة ابراهيم امين الشواربي،ج٢،المجلس الاعلى للثقافة ٢٠٠٥م ٠

٧- دلائل الاعجاز، عبدالقاهر الجرجاني،ط:القاهرة١٣٨١هجرية- ١٩٦١م ٠

٨- ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،ط٢،دار المعارف،مصر٠

٩- ديوان الاعشى، دار صادر- دار بيروت ١٩٦٠م٠

١٠- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي،ط:الخانجي١٣٥٠هجرية-١٩٣٢م٠

١١- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة العاني ط١ ١٩٦٢م٠

١٢- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق شاكر،ط١،دار المعارف بمصر٠

١٣- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد،ط:التجارية٠

١٤- القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، ط: التجارية٠

١٥- لسان العرب، ابن منظور، ط:بيروت٠

١٦- المتنبي وسعدي، الدكتور حسين علي محفوظ، وزارة المعارف-بغداد١٩٥٧م٠

١٧- معجم البلدان ،ياقوت الحموي،ج١،دار صادر-بيروت١٣٧٤هجرية-١٩٥٥م٠

١٨- مقدمة كتاب الحماسة، شرح المرزوقي٠

١٩- منهاج البلغاء، حازم القرطاجني ، تحقيق ابن الخواجة، دار الكتب الشرقية بتونس٠

٢٠- الموازنة بين الطائيين ، الآمدي، دار المعارف بمصر، تحقيق السيد صقر٠
٢١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ط: المليجية،القاهرة١٣٥٢هجرية-١٩٣٤م٠
٢٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه ،ابو الحسن الجرجاني،ط٣،احياء الكتب العربية٠

ثالثاً: المصادر الفارسية:

١- تذكرة الشعراء، نورالدين جهانكَير، تصحيح ومقدمة عبدالغني ميرزايف، دانشكَاه كراتشى باكستان ١٩٧٦م٠
٢-جهارمقاله، نظامى عروضى سمرقندى،از انتشارات شركت نسبى حاج محمد حسين وشركاه تهران ١٣٣٩ش٠
٣- كليات شيخ سعدى ،تصحيح محمد علي فروغى ،نشر كتابفروشى وجابخانه محمد علي علمى تهران ١٣٣٧ش٠
٤- لباب الالباب،محمد عوفى،بسعى واهتمام وتصحيح ادورد براون،مطبعة بريل-ليدن هلاند ١٩٠٢-١٩٠٣م٠
٥- المثنوى المعنوى،جلال الدين الرومى، بسعى واهتمام وتصحيح:رينولدالين نيكلسون، مطبعة بريل- هلاند ١٩٢٩م٠
٦- المعجم في معايير اشعار العجم ، شمس الدين محمد بن قيس الرازي ، طهران ،١٣٣٨ش٠